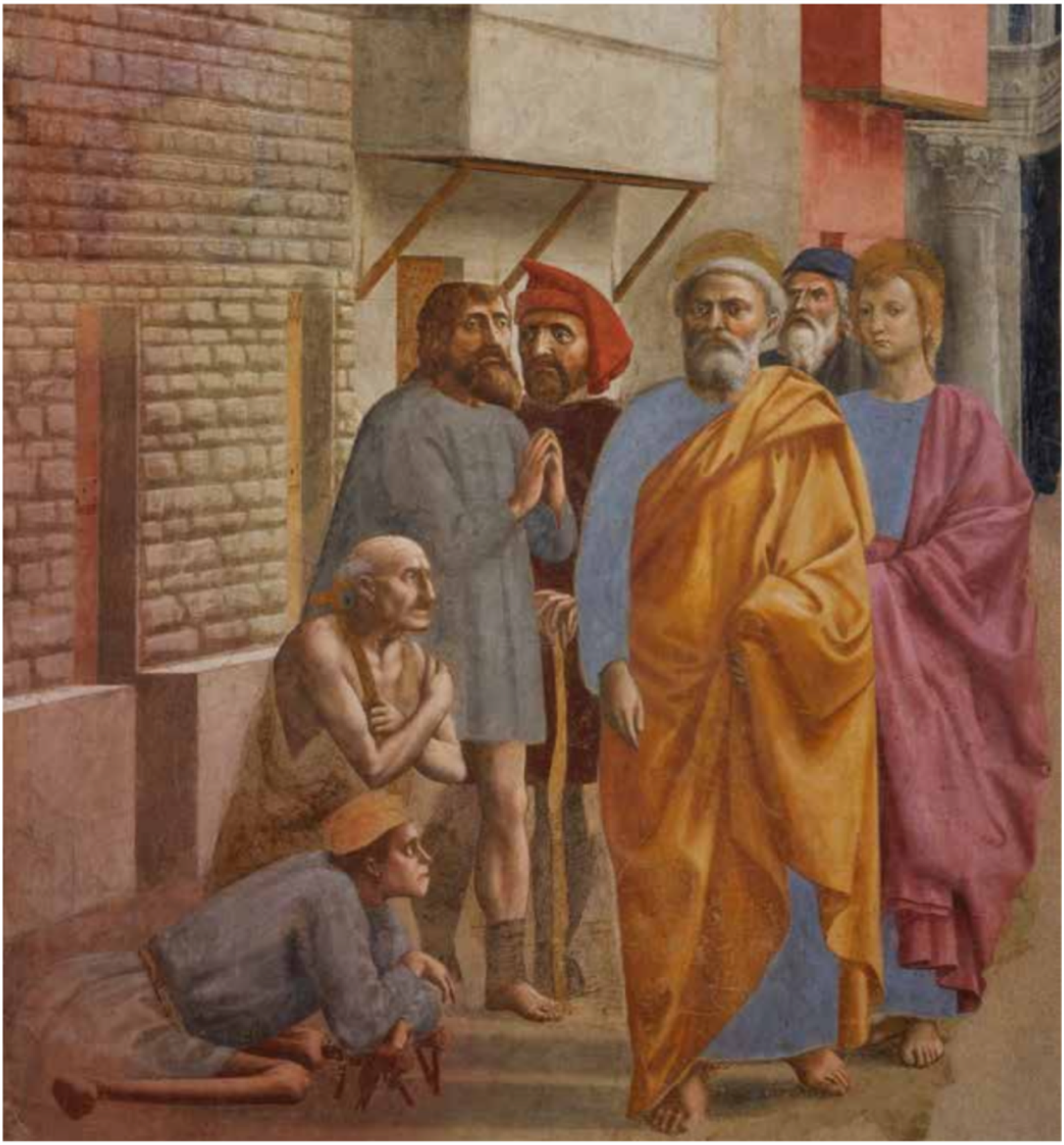

مدعوون أي مرسلون :
بداية الرسالة

مدونات من أحاديث فرانشيسكو كاسيزي وداڤيدي بروسبيري
في يوم بداية العام للبالغين بحركة الشراكة والتحرر بإقليم لومبارديا
قاعة منتدى أونيبول، أسّاجو (ميلانو) و بالتواصل المرئي عبر الانترنت في ٢١ سبتمبر ٢٠٢٤

مدعوون أي مرسلون:
بدايـــة الرســـــالـة

مدونات من أحاديث فرانشيسكو كاسيزي وداڤيدي بروسبيري
في يوم بداية العام للبالغين بحركة الشراكة والتحرر بإقليم لومبارديا

قاعة منتدى أونيبول، أسّاجو (ميلانو) و بالتواصل المرئي عبر الانترنت في يوم ٢١ سبتمبر ٢٠٢٤

داڤيدي بروسبيري [Davide Prosperi]

يقول الأب جوساني في كتاب "ثورة الذات": «لقد تم الخلاص بالفعل بقيامة المسيح من بين الأموات: وهذا هو قلب الإيمان ومحور كل شيء، لأنه حدث حقيقي. فالخلاص قد تم بالفعل، لكنه يصبح مدوياً من خلال شركتنا».[١]

فلنسلم للروح القدس هذه اللحظة والعام الذي يبدأ، حتى لا يتوقف صوته أبداً عن منحنا نعمة الاتحاد مع المسيح في كل لحظة وفي كل مكان.

تعال أيها الروح القدس

فرنشيسكو كاسيزي [Francesco Cassese]

أهلاً ومرحباً بكم وشكراً على وجودكم هنا. كما أُحيي العشرة آلاف الحاضرين هنا في مدينة أسّاجو، وأُحيي هؤلاء الذين يقترب عددهم من أربعة آلاف وخمسمائة الحاضرين معنا بالتواصل المرئي عبر الانترنت من ست مدن أخرى في إقليم لومبارديا. وفي الأيام المقبلة سيقام نفس يوم بداية العام في ستة وعشرون مكان في باقي أنحاء إيطاليا وفي مائة وواحد وأربعون مكان في ثلاثة وسبعين دولة.

في البداية، أود أن أستعرض الخطوات التي قمنا بها معاً في العام الماضي – وهو عام مكثف للغاية، وأنا شخصياً ممتن جداً لله من أجل ذلك.

ولكن قبل أن أخوض في هذه الخطوات، أود أن أشارككم حادثة شخصية، وقعت منذ حوالي عشر سنوات، ساعدتني على التفكير في المسيرة التي قمنا بها ووالتي سنقوم بها. كنت في رحلة عمل إلى باريس وبقيت في عطلة نهاية الأسبوع مع عائلة أصدقاء من الحركة. نمت في منزلهم. كانوا قد تركوا لي غرفة صغيرة، حيث كان هناك باب ذو زجاج بلوري يمكنني أن أرى من خلاله. وعند وقت الاستيقاظ في الصباح بدأت ابنتهم تحكّ على الزجاج وتنادي باسمي. فاستيقظت على صوت هذه الطفلة الصغيرة وهي تنادي باسمي

---

[١] الأب لويجي جوسّاني، «ثورة الذات. الحياة كشركة (١٩٦٨ – ١٩٧٠)»، ريتسولي، ميلانو ٢٠٢٤، ص ٧٠.

فقفز قلبي وقلت: "آه يا أمي! لو كان بإمكاني الاستيقاظ كل يوم هكذا، لتغيرت حياتي!". كان ذلك أول ما خطر ببالي. ثم انتقلت الفكرة التالية إلى الجرس في بيتي الذي يدق في الصباح الباكر كي أنهض للقيام بتلاوة صلوات تسابيح الصباح: "الجرس بالنسبة لي مثل هذه الطفلة، وقلت لنفسي: إنه واحد يناديني باسمي، واحد يستدعيني!" هل هذا خيال؟ كلا، إنها قصتي كلها التي تقودني إلى القول: "لو لم يكن هناك هذا الحضور، الحضور الحقيقي، لما انضممت إلى الحركة وإلى جماعة حافظي ذكرى الرب [Memores Domini]، فباختصار، لما كنت هنا". ومنذ ذلك اليوم تغيّر كل شيء: عندما أسمع صوت الجرس في الصباح، فهذه علامة بالنسبة لي. ففي السابق لم يكن كذلك، ولم يكن يخبرني إلا بالقليل، أما الآن فهذا الصوت يذكّرني كل يوم بأني في حياتي هناك إنسان يناديني وينتظر مني كلمة نعم. وهذه العلاقة المستمرة هي التي تُبقي عقلي وقلبي في حالة يقظة.

لهذا السبب، الأحداث التي أستعرضها الآن والخطوات التي قمنا بها هذا العام، ليست بالنسبة لي مجرد أمور حدثت لنا: فقد اختبرتها وعشتها في آنها بتلك الفورية التي تنبع من تربية وتعليم، مثل صوت الحضور الحي للرب. والآن أعرض لكم المحطات الثلاثة الأساسية للمسيرة المقترحة وثمارها. إنها مسيرة تلقت، في نقطة معينة، نوراً جديداً منذ فتح مرحلة الشهود في قضية تطويب الأب جوسّاني في التاسع من شهر مايو/ آيار الماضي.[٢]

ما هي هذه الخطوات؟

١) نظرة الإيمان

نجد في أذهاننا جميعاً الكلمات التي وجّهها لنا البابا فرنسيس: « "أيها الأحباء، اعتزوا بعطية موهبتكم الثمينة والأخوية التي تحرسها، لأنه يزال بإمكانها أن تجعل حياة الكثيرين "في ازدهار" [...]. فإمكانات موهبتكم لا تزال غير مكتشفة إلى حد كبير».[٣] لكنني أفكر أيضاً في دعوة الكاردينال فاريل [Farrell]: «هل تريدون أن تكونوا عامل التجديد هذا، وأن تساهموا في أن تكونوا عامل التجديد هذا من داخل الخبرة الكنسية كلها، حاملين كل ما يُشكِل من أنتم؟».[٤] وهنا شعرت حقاً بهذه الدعوة الموجهة إليّ: "هل تريدون أن تكونوا عامل التجديد هذا؟ وبناءً على هذه الدعوة، ركزنا في يوم بداية العام الماضي قبل أي شيء على مستوى "الخبرة" بشكل عام - لإبعادها عن مخاطر الاختزال الذاتي والوجداني الكامن دائماً- وعلى مستوى "الخبرة المسيحية"، مع التأكيد على عواملها الأساسية الثلاثة: ١) اللقاء مع حقيقة موضوعية (جماعة وسلطة)، ٢) الادراك والاعتراف بمعنى الحقيقة (نعمة الإيمان)، ٣) إدراك التوافق بين الحقيقة -في اللقاء مع الواقع المسيحي والكنسي- ومع الشخص ذاته (التحقق). فبدون هذا العامل أو ذاك من هذه العوامل - كما قيل - لا يمكن للانسان أن يتحدث عن "خبرة مسيحية".

ثم أردنا أن نذكر، على وجه الخصوص، أن الإيمان يؤدي إلى مستوى من الخبرة - من الفهم والتعمق وتذوق الأشياء - لا يمكن مقارنته بما يمكن أن يكون ممكناً لقدراتنا الطبيعية أو شعورنا أو حماسنا الديني وحده.

---

[٢] اقرأ رئيس أساقفة ميلانو الكاردينال ماريو ديلبيني، «الأب جوسّاني. جاذبية الكاريزما»، ١٠ مايو / آيار ٢٠٢٤، على الموقع: clonline.org

[٣] البابا فرنسيس، «لتلتهب قلوبكم بهذا القلق النبوي والتبشيري المقدس»، ملحق مجلة «آثار» عدد ١٠/ ٢٠٢٢، الصفحات ١٤ و ١٥.

[٤] الكاردينال كيڤين فاريل الذي ذكره داڤيدي بروسبيري، «التحية الافتتاحية»، الأب ماورو ليبوري، «المسيح، حياة الحياة»، ملحق «آثار» ٦/ ٢٠٢٢، ص ٨

٢) الاعتناء بالوحدة، والحفاظ على الكاريزما (موهبة الروح القدس): والشركة، والطاعة، والاتباع

في ٣٠ يناير، كما ستتذكرون، أرسل قداسة البابا فرنسيس إلى دافيدي وإلى الحركة بأكملها رسالة قصيرة لكنها مليئة بالمضامين، حيث قام ببادرة نابعة من أبوة وتقدير عظيمين. وكان موضوع الوحدة والطاعة في صُلب الرسالة. وكان يقول لنا البابا: «أوصيكم بالعناية بالوحدة فيما بينكم: لأنها وحدها، باتباع رعاة الكنيسة، ستكون بمرور الزمن حارسة لخصوبة الكاريزما التي منحها الروح القدس إلى الأب جوسّاني [Giussani]». ثم اختتم بدعوة حارة «لاتباع الطريق الذي بدأتموه، تحت قيادة الكنيسة، والتعاون بإخلاص وولاء مع من دُعِي لقيادة الحركة. إذ يمكن لهذه الطاعة وحدها، التي يُعاد اكتشافها وإبقائها حية باستمرار، أن تضمن لكم خبرة حياة مسيحية أكثر غنىً وتجديد لحضوركم في العالم، من أجل خير الكنيسة بأسرها».[٥]

كان يؤكد الأب جوسّاني دائماً على القيمة الوجودية والسرية للوحدة، كأعظم علامة لحضور المسيح في التاريخ: «لقد بقي المسيح حاضراً في العالم وفي التاريخ، وسيظل كذلك إلى نهاية الأزمنة، من خلال وحدة أولئك الذين يفهمهم ويحملهم إلى داخل شخصيته».[٦]

وفي الأشهر ذاتها – أدهشتني المصادفة – عندما صدر الكتاب الذي يحكي حياة صديقنا أندريا أزياني [Andrea Aziani]. وهو كتاب مليء بتوصيات من أندريا ومن الأب جوسّاني حول أهمية الوحدة. أقرأ لكم مقطعاً من الكتاب يتحدث عن سفر أندريا وبعض الأصدقاء الجامعيين إلى مدينة سيينا [Siena]: «في يونيو ١٩٧٦، طلب الأب جوسّاني من أندريا الانتقال إلى المدينة التوسكانية [سيينا]؛ واقترح نفس الأمر في حوارات مختلفة على ثلاثة طلاب جامعيين آخرين، وهم چان كورادو بيلوسو [Gian Corrado Peluso] من الجامعة الكاثوليكية، ولورنزا ڤيوليني [Lorenza Violini] وأورنيلا ميلان [Ornella Milan] من جامعة ميلانو الحكومية، الذين قبلوا بحماس. وقبل السفر، قال لهم الأب جوسّاني: «المهم هو أن تكونوا متحدين فيما بينكم، فمن وحدتكم سيولد ما يجب أن يولد». وفي الأمام قليلاً من نفس الصفحة: «لقد قال لنا الأب جوسّاني: ''لا يهمني عدد الأشخاص الذين ستتمكنون من جمعهم، ولكن ما يهمني هو الوحدة والصداقة فيما بينكم، محيط صداقة يهتم بمصير بعضكم البعض، وكل شيء آخر سيأتي بالزيادة''».[٧]

هاكم ما قاله أيضاً «إن موضوعية حضوره هي محفوظة ومضمونة بفضل هذه الوحدة»،[٨] والتي تُسمى في مجمل واقعها «الكنيسة». «وكما صار الناس مسيحيين وتغيروا عندما اتبعوه آنذاك، فالآن أيضاً يصبح المرء مسيحياً ويتغير كإنسان، وكل من يتبع هذه الوحدة، التي أعطاها المسيح علامة موضوعية مطلقة، وهي أسقف روما، رئيس جماعة المسيحيين بروما».[٩] وكل ما هو حقيقي لواقع الكنيسة هو حقيقي أيضاً – بالمثل – لجماعتنا. بمعنى أنه: لا توجد وحدة بدون سلطة، بدون العلامة الموضوعية للسلطة. «ليس

---

[٥] البابا فرنسيس، «البابا إلى حركة الشراكة والتحرر: ''التحية الافتتاحية''، رسالة في ٣٠ يناير ٢٠٢٤ الى داڤيدي بروسبيري، ١ فبراير ٢٠٢٤، clonline.org

[٦] الأب لويچي جوسّاني، «المسيحية كحدث اليوم»، مجلة «آثار»، عدد ٢ / ٢٠٢٤، ص ٥١.

[٧] چاني ميريجيتي – چان كورادو بيلوسو، «أندريا أزياني حمى الحياة»، إيتاكا، كاستيل بولونييزي (راڤينّا) ٢٠٢٣، ص ٤٠

[٨] الأب لويچي جوسّاني، «المسيحية كحدث اليوم»، كتاب سبق ذكره، ص ٥٢

[٩] نفس الكتاب والصفحة المذكورين عاليه

هذا موضوعا كبقية المواضيع - كما يقول الأب جوسّاني في كتاب "ثورة الذات" - بل هو «ال» موضوع، الموضوع الذي يضمن استمرارية صداقتنا وإمكانية إثمارها».[١٠]

وخلال اللقاء الذي جرى في فبراير مع مسؤولي ''حركة الشراكة والتحرر'' حول رسالة البابا فرنسيس، عندما توقفنا عند موضوع «القيادة الجماعية»، وأشرنا أيضاً إلى أنه إذا تم في النهاية اتباع شخص ما، فإن هذا الشخص ليس تعبيراً عن نفسه، ولا يعبر فقط عما يشعر أو يفكر به، أو عن تفسيره للأمور أو للكاريزما، بل هو تعبير عن جماعة.[١١]

٣) الحضور: حُكم فكري وثقافة جديدة

وبالأخذ بعين الاعتبار ما قاله لنا قداسة البابا في عام ٢٠٢٢، متحدثاً عن "إفتقار في الحضور"[١٢]، فإن الخطوة الثالثة تتعلق تحديداً بالحضور، في أبعاده الأساسية المتمثلة في الثقافة والمحبة والرسالة التي تشمل أيضاً الأعمال. لقد بدأنا بالثقافة. وأشير بشكل خاص إلى نص لقاء داڤيدي بروسبيري مع الجمعية الإيطالية للمراكز الثقافية.

منذ بدايات شبيبة الطلبة قدم الأب جوساني الإيمان كمصدر لطريقة جديدة لرؤية وتصور ومواجهة جميع مشاكل الوجود والمجتمع والتاريخ والسياسة، أي كمصدر لـ "حُكم فكري على العالم"، وهذا يعني "بداية ثقافة مختلفة"[١٣]. وهذا ما حاولنا القيام به، وإن كان في البداية وبطريقة يمكن بالتأكيد أن تكون مثالية ولكن عن قناعة، من خلال بعض الأعداد الأخيرة من مجلة «آثار» [Tracce] المكرسة للوجدانية ونهاية الحياة والذكاء الاصطناعي. وهكذا تصبح الثقافة، في الوقت نفسه، تحققاً من الإيمان وتبليغاً لحداثة المسيح وجماله إلى العالم.

وفي اللقاء مع المراكز الثقافية، تم التأكيد أيضاً على أن جمال المسيح هو، بحق، متوافق مع القلب، ولكن هذا لا يعني أنه يتوافق مع كل ما نفكر به عادة، ومع مقاييسنا ومزاعمنا ومصالحنا الذاتية وإرادتنا وإرادة العالم في السلطة، لأن عقلية العالم تتغلغل فينا، وليست مجرد شيء خارج عنا. ما الذي يُدهِش عادةً أولئك الذين ينظرون من الخارج ويلتقون ويستمعون إلى الحركة؟ وما الذي يترك انطباعاً، على سبيل المثال، في أولئك الذين يحضرون ويشاركون في الاجتماع الدولي بريميني؟ هو القدرة على أن نكون ونقول شيئاً أصلياً، والاختلاف بالنسبة للمناخ الذي ننغمس فيه.

وانطلاقاً من إيماننا، ومن اللقاء الذي ترك بصمته في حياتنا، نحن اليوم "مدعوون إلى المشاركة" فيما يتعلق بالعديد من القضايا التي لم يواجهها الأب جوساني أو الكنيسة نفسها بنفس الشروط. إن مغامرة الحكم الفكري ومغامرة الثقافة تنتمي في الواقع إلى الشهادة المسيحية، فهي بُعد لا يمكن التخلي عنه من خبرتنا ومن حضورنا في العالم. إذ يمكن أن يثير طرحها المعارضة ويمكن أن يثير سوء الفهم، لكن يمكنه أيضاً أن يتحول إلى فرص إلتقاء لكثيرين، وتقديم منظور وطريق لقلوبهم الجريحة والعطشى - مثل قلوبنا - إلى "اختلاف" وإلى جمال المسيح وإلى الرجاء الذي هو المسيح.

لقد وصلنا إلى هذه النقطة. والآن أسأل نفسي، وأسألك: ما هو المطلوب منا اليوم؟ ما هي الخطوة الجديدة التي تعتقد أنها ضرورية لمسيرتنا؟

---

[١٠] الأب لويجي جوسّاني، «ثورة الذات»....، كتاب سبق ذكره، ص ٢٠١

[١١] راجع «رسالة البابا: الطريق: الذي يجب اتباعه

[١٢] البابا فرنسيس، «لتلتهب قلوبكم بهذا القلق النبوي والتبشيري المقدس»، نص سبق ذكره، ص ١٠

[١٣] الأب لويجي جوساني، «ثورة الذات»، كتاب سبق ذكره، ص ١٣٥

أرد على الفور قائلاً بإنه إذا قلنا العام الماضي أن الهدف الأساسي الذي بسببه توجد الحركة هو التربية على الإيمان المسيحي – وبالتالي عيش الحياة كدعوة: نحن مختارون ومدعوون من قِبَل آخر – والخطوة الجديدة التي نريد أن نبدأ بها هذا العام تركز على البُعد الثاني لمهمتنا التاريخية داخل حياة الكنيسة وفي العالم: إيصال وتبليغ محتوى هذا الإيمان للجميع. إذن يجب أن ندرك بأننا مدعوون لمهمة.

فكوننا مدعوين يتفق مع كوننا مُرسَلين، إذ لا يوجد انفصال بين الدعوة والرسالة. ومن هنا جاء عنوان يوم البداية: «مدعوون، أي مُرسَلون: بداية الرسالة». إنه موضوع الرسالة، تماشياً مع ما قاله لنا قداسة البابا: «لتلتهب قلوبكم بهذا القلق النبوي والتبشيري المقدس». وقبل أن يوجه لنا هذه الكلمات، أكد على: «أنها أزمنة التجديد وعودة الانطلاق التبشيري في ضوء اللحظة الكنسية الحالية، وكذلك أزمنة احتياجات ومعاناة وآمال البشرية المعاصرة».[١٤]

١- المسيح هو «الـ» مُرسل من الآب ويُشرِكُنا في رسالته

يقول الأب جوسّاني: «إن الدعوة العظيمة [...] التي قام بها الله لتحقيق مخططه في العالم، هي دعوة المسيح»، التي تجمع كل شيء وتفسره: إذ أن اختيار المسيح يتطابق بالفعل مع «الرسالة المتمثلة في إظهار مخطط الآب السري على كل الأشياء. [...] فإذا عاش أي إنسان عادي في زمن المسيح، والتقى به، وطرح عليه السؤال: "من أنت؟ وما اسمك؟"، لأجاب يسوع: "أنا المُرسل من الآب"».[١٥] فكل تعبير، وكل بادرة، وكل نظرة من يسوع تترجم هذا الوعي الخاص به بأنه المرسل من الآب. وبالتالي، فإن المسيح هو أول المكلفين بالرسالة؛ وتتمثل رسالته في إظهار مخطط الآب ومحبته، وفي الشهادة لعلاقته بالآب، وفي إيصال ذلك الحب الذي يأتيه من الآب باستمرار إلى الرجال والنساء في زمنه وفي كل الأزمنة، مُحِباً إياهم.

وليس هذا فقط: فالمسيح يُشرك في رسالته ''تلاميذه'' وكل من سيؤمنون بكلمتهم، حتى نحن. «أنا أرسلتُهُم إلى العالَمِ كما أرسَلتَني إلى العالَمِ.»[١٦] ونحن أيضاً، مثل الأوائل، مدعوون، أي مرسلون. كما قال لمتى «إتْبَعني.»[١٧] يمكن لكل واحد منا أن يضع اسمه هنا. ولكن كيف تمت دعوتنا؟

لنتأمل في واقعة المرأة السامرية بإنجيل يوحنا[١٨] حيث يلمح إلى أن لقائهما لم يكن صدفة: فقد قرر يسوع أن يسلك الطريق الأصعب للذهاب من القدس إلى الجليل، وهو الطريق الذي يمر عبر الصحراء وسط أرض السامرة – بالسير في طريق كان غير ملائم لليهود، لأنهم كانوا يعتبرون السامريين أنجاس – ووصل إلى بئر يعقوب في الوقت الذي لم يذهب إليه أي أحد (فقد كان الوقت حوالي الظهيرة، وكانت الحرارة شديدة والناس بقوا في ظل بيوتهم)، ما عدا هذه المرأة التي كانت تعلم أنها تُعتبر ''موضع شك أخلاقي'' ولذلك أرادت تجنب لقاءات عشوائية محرجة. وقد يخطر لنا الشك بأن ما حدث كان مجرد حادثة يمكن ألا تقع، لكنه لم

---

[١٤] البابا فرنسيس، «لتلتهب قلوبكم بهذا القلق النبوي والتبشيري المقدس»، نص سبق ذكره، الصفحات ١٠ و١٩

[١٥] الأب لويجي جوساني وستيفانو ألبرتو وخافيير برادِيس، «إحداث آثار في تاريخ العالم»، بور، ميلانو ٢٠١٩، ص ٦٧

[١٦] يو ١٨:١٧

[١٧] مت ٩:٩

[١٨] يو ٤: ٥ – ٤٢

يكن كذلك. لقد حدث معها لأنها هي من أراد يسوع أن يلتقي بها: فقد سلك كل تلك الطريق ليصل إلى هناك في ذلك الوقت، لأنه أراد أن يلتقي بها تحديداً.

وهنا بيت القصيد! فقد أعطى هذا اللقاء بداية لحياة جديدة، حيث أن كل الاضطراب والفوضى والشر في ماضيها أصبح جزءًا من مخطط خيربدأ يتشكل ويأخذ معنىً، وهو المعنى الذي كان يتجسد في وجه وكلمات الرجل الذي كان أمامها. لنحاول أن نتخيل ما شعرت به تلك المرأة عندما أدركت من كان أمامها: اكتشافها فجأة أنها مرغوبة، ومحبوبة - بل نستخدم الكلمة العزيزة على قلب الأب جوسّاني: ''المُتَسَولةَ'' - من قِبل المسيح، المسيّا، المصير، ذاك الذي صُنع قلبنا من أجله والذي ينتظره منذ الأزل، بوعي أو بدون وعي.

بالنسبة لنا اليوم، ومن خلال اللقاء مع الحركة، داخل واقع الكنيسة، ينطبق نفس الشيء: فإذا كنت هنا، فهذا لأنك مُختار، ودُعيت باسمك. أفكر في العديد من الشهادات التي سمعناها هذا الصيف (ستقرؤون بعضها في مجلة «آثار» [Tracce]).[١٩] على أي حال، قصتهم هي قصتنا أيضاً، فقصة كل واحد منا هنا، رغم اختلاف الأشكال والتفاصيل.

لقد تمت دعوتنا - وأفكر أيضاً في من هو هنا اليوم لأول مرة - من خلال لقاء جعلنا نختبر نظرة تبدو مستحيلة لكنها مرغوبة لحياتنا، نظرة إنسانية أخيراً، ومحبة مجانية وغير مُستحَقة لمصيرنا، لوجوهنا: لم يقم أي منا بأي شيء ليستحقها. وإذا أصبحت الشخص أو الأشخاص الذين التقينا بهم "لقاءً" بالنسبة لنا، فهذا لأننا وجدناهم يتعاملون بطريقة مختلفة مع شؤون الجميع: فبحديثهم، وبعملهم، وفي تناولهم الطعام والشراب، جعلونا نشعر بفرق نوعي، بشيء يتفق مع عطشنا للمعنى والحب.

هذا الاختلاف هو هدية مُقدّمة إلى العالم. لكننا، ليكون الأمر واضحاً، برغم هشاشتنا وحدودنا، ليس لدينا شيء نقدمه سوى ما نتلقاه بدورنا (كما كتبنا في نهاية المنشور الذي نُشر قبل أيام قليلة حول الحادثة المروعة في بلدة باديرنو دونيانو)؛[٢٠] أي أنه ليس لدينا شيء من عندنا، لا شيء ينبع منا. فمصدر اختلافنا، ووجودنا المختلف والبنّاء في البيئة هو - باستخدام تعبير البابا فرنسيس - «الأمانة الإبداعية»[٢١] للقاء وللمصدر ولعطية الروح القدس. والمصدر يعيش في مكان وفي تاريخ: وحدتنا في المسيح. صديقنا كارّاس [Carras] كرر هذا حتى آخر نفس: إذ يمكنك أن تكون الأكثر ذكاءً وحساسية من الجميع والأكثر فطنة والأكثر ''كاريزمية''، لكن إذا انفصلت عن المصدر، ستصبح كالأسطوانة المشروخة التي تكرر نفسها إلى ما لا نهاية. إنها غواية يمكن أن نقع فيه جميعاً، بلا استثناء.

٢- شركة معاشة

تمت دعوتنا من خلال لقاء إنساني أدخلنا إلى حياة جسد المسيح، في شركة تتكون من أولئك الذين - كما يقول الأب جوسّاني - «مُختارون للرؤية، الذين يقبلون النظر، والذين يستمعون كما يستطيعون والذين يترنحون كما هم قادرون فجميعهم خطاة ومحبوبون من الله السر».[٢٢]

نحن أيضاً قد تم اختيارنا للرؤية، وكان علينا أن نقبل النظر: فلا شيء يحدث بالفعل دون حريتنا. حتى في الاعتراف بالحب الذي تلقيناه، تكون حريتنا على المحك: بالتأكيد، إنها حرية تحركها قوة فائضة، قوة

---

[١٩] «مدعوون، أي مرسلون»، مجلة ''آثار''، عدد ٩/ ٢٠٢٤، الصفحات ٤٠ - ٥٣

[٢٠] «الشر والحب الذي ينقذ ويخلص»، ١٧ سبتمبر ٢٠٢٤، clonline.org

[٢١] البابا فرنسيس، «خطاب إلى أعضاء اللجنة اللاهوتية الدولية»، ٢٤ نوفمبر ٢٠٢٢

[٢٢] الأب لويجي جوساني، «عبر صحبة المؤمنين»، بور، ميلانو ٢٠٢١، ص ٥٥

جذب، لأنه في حال كان العكس، فإنها ستكون عاجزة عن اتخاذ خطوات، ولكن يجب أن تلعب دورها دائماً. لكن لننتبه، إذ لا يكفي أن نقول ''نعم'' مرة واحدة فقط. كما كان على بطرس أن يكرر ''نعم'' ثلاث مرات، وليس مرة واحدة، عندما طلب منه المسيح أن يعترف بحبه له، كذلك علينا أن نكرر كلمة ''نعم'' لحبه مئات وآلاف المرات كل يوم. «أتحبني؟».

كم مرة نُصدم ونحن نقول: «لقد اختبرت اللقاء، لكنني أشعر بالجمود». لكن علينا أن نجدد كلمة ''نعم'' باستمرار، ويجب أن تصبح أكثر وعياً. فكل شخص عنده مسؤولية يجب أن يعيشها، والتي غالباً ما نرغب في تجنبها، إما إستسهالاً أو كسلاً. إن كلمة ''نعم'' التي ننطق بها مليئة بالأسباب، حتى عندما نكون في الضباب. إذا ''لم نرى'' الآن حدوث ما حدث لنا، فهذا لا يعني أنه لا يحدث. قد يحدث أيضاً أنه، «بعد ثلاث سنوات من حرارة العاطفة»، تجد نفسك تعيش «ثلاثة أشهر من الفتور، وثلاثين عاماً من الفتور»، كما يقول الأب جوسّاني في إحدى الفقرات من كتابه «هل يمكن (حقاً؟) العي؟)ش هكذا؟»، والذي كان في لحظات معينة مصدر راحة كبيرة لي: «في تلك اللحظات، تكون ذاكرة الماضي وذاكرة التاريخ الذي عشته – ما حدث لك، وما فعلته بسبب ما حدث لك –، هي الذاكرة التاريخية التي تنقذك؛ وتنقذك نتيجة هذه الذاكرة التاريخية، والتي هي الصحبة التي أنت فيها. فأنت لا تشعر بحرارة العاطفة تجاه مضمون ذاكرة ما وأمام الصحبة التي أنت فيها، والتي شعرت بها من قبل، ولكنها موجودة [...]. أؤكد لكم أنه، بعد ثلاث سنوات من حرارة العاطفة وثلاثة أشهر من الفتور وثلاثين عامًا من الفتور وثلاثة أشهر من «عودة حرارة العاطفة» أو إزالة العقبة أمام جيشان العاطفة وفي لحظة معينة: تنفتح فجأة الموجة أمام فجوة البحر الهائلة وتغطيها بالكامل»،[٢٣] ثم تعود أنت أيضاً لترى.

إذن، اللقاء مع المسيح اليوم يحدث من خلال الالتقاء بشركة من الناس المرتبطين به، الذين هم جزء منه. فالشركة، وحدة المؤمنين، الكنيسة هي جسده، وهي الطريقة التي اختارها الله للبقاء حاضراً في التاريخ. أحياناً، ربما يبدو هذا غريباً علينا، وربما نشعر أنه بعيد ولا يؤثر في حياتنا، فذلك لأننا قد قمنا، بطريقة أو بأخرى، بتقليص واختزال معنى الشركة نفسها: إذ لم نعد نعترف بها باعتبارها سر المسيح، أي حقيقة المسيح الحاضر. وبدون التنظير لذلك وربما دون إدراك منا، قمنا مرة أخرة بإخراج المسيح من التاريخ، باستسلامنا لشكل من أشكال الروحانية أو اللاهوت الأُخروي (لذلك لم يعد المسيح حضوراً ولم يعد له علاقة بواقع حياتنا هنا والآن). إذ نفهم العلاقة مع المسيح على أنها أمر فردي ونختزل الرفقة الجماعية إلى دعم وسند اجتماعي (لما يمكن أن يقدمه لي الأصدقاء عندما أكون في حاجة). لكن بالنسبة للأب جوسّاني، فإن طريق الإيمان يمر من خلال لقاء إنساني والتواجد في الشركة التي هي جسده في التاريخ. فالمسيح ليس فكرة مجردة، ولا مثالية نتصورها، بل هو حضور يصبح ظاهراً وملموساً في وحدتنا، التي يمكننا اتباعها، والتي ننتمي إليها، والتي تصبح مكاناً للمعايير والوعي الذي به نحكم على كل شيء. لهذا تحدثنا كثيراً عن الحكم الجماعي.

إنها خبرة الشركة بيننا وداخل الكنيسة التي تجعلنا ننضج في الإيمان. وإذا كانت العقلية السائدة، التي غالباً ما نتأثر بها نحن أيضاً، تعني بالنمو هو أن نصبح مستقلين، أما في المسيحية فالأمر عكس ذلك: فكلما تقدمنا في السير، كلما اكتشفنا أن كل قِوامُنا وكَيانُنَا يكمن في الانتماء إلى حضوره، وأن حقيقة ذواتنا، وحياتنا، ولحظتنا تكمن في تبعية المسيح للآب التي اعترف بها وعاشها من خلال سره وسر الشركة التي هي

[٢٣] الأب لويچي جوساني، «هل يمكن (حقاً؟) العيش هكذا؟»، بور، ميلانو ٢٠١٦، الصفحات ٤٧٠ – ٤٧١

استمراريته في التاريخ. «هذه هي المفارقة: الحرية هي التبعية لله»، [٢٤] كما تقول العبارة في كتاب «الحس الديني» التي اخترناها هذا الصيف عنواناً لأجازات جماعاتنا.

وأود في هذا الصدد أن أذكر فقرة من الكتاب المقدس، وهي صراع يعقوب مع الملاك. فالقصة معروفة، لكن على أي حال أدعوكم لقراءتها مرة أخرى. عندما يحصل يعقوب على البكورية من والده إسحاق بالخداع: لهذا السبب لم يشعر بالسلام في قلبه، ورغم أنه يعلم أن الرب دائماً يحافظ على وعده، إلا أنه رحل بعيداً. وبعد سنوات طويلة، يقرر العودة إلى الأرض التي أُعطيت له. ويجد نفسه مضطراً لعبور نهر يبّوق. وبعد أن قام بنقل زوجاته وجواريه وأطفاله وممتلكاته إلى الجهة الأخرى، يستعد لعبور النهر بالسير على قدميه. ولكنه يجد أمامه شخصاً غريباً يبدأ في مصارعته.

وهنا تكمن القضية الكبرى، التي تشكل في رأيي النقطة الدرامية في الزمن الذي نعيش فيه: الاعتراف بالانتماء إلى الله، والوعي بأننا "خاصته". إذ يصارع يعقوب الملاك ويقول له الرب: «لقد انتصرت!»، وهذا يبدو متناقضاً لأنه في أعيننا يعقوب مهزوم: إذ نرى الملاك يخلع فخذه، وسيظل أعرجاً طوال حياته. إذن لماذا انتصر؟ لسبب يتضح عندما يسأل يعقوب الملاك أن يباركه قبل أن يتركه، فيسأله الملاك عن اسمه؛ فيقول يعقوب اسمه بالفعل، ويعطيه الملاك اسماً جديداً: «فَقَالَ: "لاَ يُدْعَى اسْمُكَ فِي مَا بَعْدُ يَعْقُوبَ بَلْ إِسْرَائِيلَ لأَنَّكَ جَاهَدْتَ مَعَ اللهِ وَالنَّاسِ وَقَدِرْتَ". وَسَأَلَهُ يَعْقُوبُ: "أَخْبِرْنِي بِاسْمِكَ". فَقَالَ: "لِمَاذَا تَسْأَلُ عَنِ اسْمِي؟" وَبَارَكَهُ هُنَاكَ». [٢٥] ففي التقاليد اليهودية، أن تقول لشخص ما اسمك يعني بطريقة ما أن تمنح نفسك له، وأن تقيم تحالفاً، وأن تعطي الآخر الحق والقدرة على استدعائك للمساعدة. والكشف عن اسمك هو بمعنى آخر كأنك تقول: «أنا لك، من الآن فصاعداً أنتمي إليك، أنا معك». تغيير الاسم تماماً، كما يفعل الله مع يعقوب، يعني أكثر من ذلك بكثير. إذا كان معرفة اسمك هو امتلاكك، فإن كوني أنا من يعطيك الاسم هو امتلاكك "كلية". إنه كما لو كنت تقول: «أنت ملكي». وهكذا يبدأ الفهم. فالله لا يخبر يعقوب باسمه؛ بل يعطيه اسماً جديداً. وهكذا كأنه يقول له: «نعم، لقد انتصرت، لكن انتصارك لا يتمثل في "امتلاكي". بل يتمثل في أنك أصبحت لي وفي أنك أصبحت مدركاً لانتمائك لي؛ بل وبالأحرى: بقبولك أخيراً أن تسلم نفسك لي، وأن تعتمد عليّ تماماً». فهو، الذي عاش المأساة الداخلية بسبب حصوله على وعد الله بالخداع، بعد صراع طويل، انتقل أخيراً من الاستقلالية إلى الانتماء، وأصبح الآن مِلْكاً لله بالكامل، وبالتالي موسوماً، ومجروحاً في كبريائه وفي ذكائه من ذلك الإله الذي جعله له بالكامل بهذا الشكل.

أفكر في عدد المرات التي يمكن أن يكون فيها حدث مأساوي أو مؤلم بالنسبة لنا (إلى درجة أن المرء قد يقول: «يارب، لماذا لا ترفع عني هذا العبء؟») أمراً غير مفهوم إنسانياً، فيما يتعلق بإله يحبنا، لو لم يكن هو الطريق السري الذي يمكن أن يقودنا إلى علاقة أعمق وأكثر ألفة ومحبة معه، وإلى الشعور بالاحتياج إليه أكثر. مثل يعقوب، حينذاك، ففي أي موقف في الحياة، ستنتصر إذا سمحت للحضور العظيم الذي جاء للقائك، الله الذي صار إنساناً بأن يتغلب عليك. وما الذي تربحه؟ تربح محبته. بل بالأحرى: تربح وتنال تلك الحرية الجديدة والحقيقية، التي تتجلى في العيش مستسلماً لحب الآخر المجاني، وأن يكون قِوامُك لا ما تفعله وتعرفه أنت، بل محبة الآخر المجانية، المجانية حتى المغفرة. فالمسيح يحبك، بالتأكيد، لكن إذا لم تتعلم أن تستسلم لهذا الحب وتخضع له، فكما لو كنت غير قادر على إدراكه، ولا الاعتراف به، ولا اختباره حقاً.

---

[٢٤] الأب لويجي جوساني، كتاب «الحس الديني»، بور، ميلانو ٢٠٢٣، ص ١٢٥

[٢٥] تك ٣٢: ٢٩ – ٣٠

إنه حب إنسان آخر يحررنا: يحررنا من ابتزاز الاعتراف من العالم، لأننا معترف بنا بالفعل من قِبَل الحب الوحيد في الحياة. وهذا الحب، الذي نعتراف به ونقبله، هو الذي يجعلنا أبطالاً في التاريخ، كما حدث مع القديسة برناديت (آمل أن الكثيرين قد قرأوا ''أنشودة برناديت'' لفرانز فيرفل [Franz Werfel]، الذي اقترحناه كـ''كتاب الشهر'' في أبريل الماضي). إنها شخصية لطالما أبهرتني، وهي قديسة مهمة لعصرنا، فلديها الكثير لتقوله لنا أيضاً. ففي ١١ فبراير ١٨٥٨ (بالمناسبة، أذكركم بأن ١١ فبراير هو أيضاً يوم الاعتراف البابوي بأخوية الشراكة والتحرر)، عندما ظهرت لها السيدة العذراء في مغارة لورد [Lourdes]، كانت برناديت فتاة تبلغ من العمر أربعة عشر عاماً تعاني من صعوبات جادة في التحصيل الدراسي (إلى حد أنها كانت تعتبر نفسها غبية). نحن في فرنسا بعد الثورة الفرنسية، في مناخ عقلاني: حيث كانت تعتبر ''أساطير'' الدين قد عفا عليها الزمن. وخلافاً لما كان يمكن أن نتوقعه في ذلك السياق الثقافي، اختارت السيدة العذراء، كـ''سفيرة'' لها، فتاة صغيرة غريبة تماماً عن أي نموذج للقدرة على الإقناع أو الجدال الفكري. فتقوم هذه الفتاة الجاهلة بقلب فرنسا رأساً على عقب.

منذ اللحظة التي بدأت فيها الظهورات، بدأت برناديت تقول أشياء أكبر منها. ففي البداية، لم يصدقها الكثيرون، لكنها استمرت في قولها لسبب واحد: من أجل الحب، لأنها قابلت حب حياتها العظيم. وعندما يلتقي الإنسان بحب حياته العظيم يصبح حراً في الحال: حراً من أحكام الآخرين، من حكمه على نفسه، ومن الحاجة - التي عادة ما تحاصرنا - للاعتراف به، ومن الابتزاز الذي يجعله يشعر بالحاجة إلى تقدير الآخرين له. وعندما يطلب منها الذين لا يؤمنون بالظهورات أن تقنعهم (مثل معلمة المبتدئات التي تكاد تتوسل إليها: «ستحررينني من معاناة رهيبة إن استطعت إقناعي» [٢٦])، فتجيب برناديت ببساطة: «لم أُكلَّف بجعلكم تصدقون، إنما كُلِفتُ بإخباركم!» [٢٧]

وهذا الأمر يخصنا اليوم. فالحكم الحر على العالم وعلى الواقع لا يمكن أن ينشأ إلا من الاعتراف بحكم قيمة وخير وتقدير الذات من قِبَل الذي يحبنا بلا حدود والذي نحبه أكثر من أي إنسان آخر. فهذه الحرية هي شكل من أشكال المئة ضعف: «فأجابَهُ يَسوعُ: ''الحقَّ أقولُ لكُم: ما مِنْ أحدٍ ترَكَ بَيتًا أو إخوَةً أو أخواتٍ أو أُمًّا أو أبًا أو أولادًا أو حُقولاً مِنْ أجلي ومِنْ أجلِ البِشارَةِ، إلاَّ نالَ في هذِهِ الدُّنيا، معَ الاضطِهاداتِ، مئةَ ضُعفٍ مِنَ البيوتِ والإخوةِ والأخواتِ والأُمَّهاتِ والأولادِ والحُقولِ، ونالَ في الآخِرَةِ الحياةَ الأبديَّةَ''». [٢٨]

نقوم بمبادراتنا وأعمالنا ونؤسس المراكز الثقافية ونعقد اللقاء الدولي بريميني للصداقة بين الشعوب [Il Meeting] والعديد من الأعمال الأخرى، اعترافاً بهذا الحب علينا. وإلا، صار ذلك جهداً غير إنساني سيرهقنا في النهاية.

٣- الرسالة كبعد للحياة

ما هي الخطوة التالية التي يجب نخطوها؟ يشير الأب جوسّاني إلى ذلك في كتابه الذي تم نشره مؤخراً «ثورة الذات: الحياة كشركة» (١٩٦٨ - ١٩٧٠): الخطوة الجديدة هي إدراك أن ما حدث لي هو الحدث الذي

[٢٦] فرانز فيرفل، «أنشودة برناديت»، جاللوتشي، روما ٢٠١١، ص ٦٤٠

[٢٧] هذه هي العبارة التي نطقت بها القديسة برناديت، والمذكورة في كتاب فرانسوا تروشو، «برناديت سوبيريوس»، مارييتي ١٨٢٠، جنوا-ميلانو ٢٠١٣، ص ٢٥٥. ولكن في رواية فيرفل تم نقلها بشكل مختلف وجزئي: «لكنني لم أرغب أبداً أن تصدقني». (ف. فيرفل، «أنشودة برناديت»، سبق ذكره، ص ٤٦١)

[٢٨] مر ١٠: ٢٩-٣٠

غمرني ودخل فيّ وأصبح الحقيقة الأعمق بالنسبة لي: «فما أنا أحيا بَعدُ، بَلْ المَسيحُ يَحيا فِيَّ»[٢٩]، كما يقول القديس بولس. إنه تغيير في مفهوم الذات، ووعي جديد بالذات: «وهذا يعني – يقول الأب جوسّاني – أن وعي الذات الذي لديَّ يشترك معي فيه المسيح وكل هؤلاء الذين اختارهم، سر الكنيسة، وهذه الوحدة الحقيقية في التاريخ». [٣٠]

ويقول الأب جوسّاني في نص آخر: «تَكمُنُ قوة الفرد في شدة وعيه بذاته، أي إدراكه للقيم التي تحدد شخصيته. والآن تتدفق هذه القيم في الذات من التاريخ المُعاش الذي تنتمي إليه الذات نفسها. وتكمن العبقرية الجِذرية للفرد في قوة وعيه بالانتماء».[٣١]

من يعيش بهذا الوعي الذاتي يُغَيِّر ويميل إلى تغيير كل ما يقوم به، ولا يمكنه إلا أن يغير الطريقة التي يعيش بها والعلاقات التي يقيمها: قليلاً أو كثيراً، ولكن لا محالة، فإنه يُغَيِّر الفعل الذي يقوم به ويخلق تدريجياً، حتى وإن كان بشكل ضئيل، شيئاً جديداً في العالم، قدره مليمتراً واحداً في كل مرة. وتتغير معايير الحكم والفعل. وقدم لنا في هذا الصدد، الكاردينال بيتسابالا مقطعاً رائعاً في اللقاء الدولي بريميني يقوله فيه : «الآن يجب عليَّ أن أحمل خبرة تجسد وإنسانية المسيح ولقائي معه، إلى داخل الواقع الذي أعيشه اليوم [...]. وهذا يعني، أولاً وقبل كل شيء، أن أسأل نفسي باستمرار: ماذا يقول لي يسوع في هذه اللحظة؟ إذ يجب أن يصبح هذا معيار قراءة الأوضاع، من ألم ومن انقسام ومن تعب بكل معانيه بحيث يمر ما أعيشه من خلال تلك الخبرة التي يجب أن تستمر في أن تكون الخبرة المؤسِسة لحياتي. [...] وكل تقييم، وكل قرار، وكل اختيار، وكل كلمة يجب أن تكون متوافقة مع تلك الخبرة ومع تلك العلاقة ومع تلك الصداقة».[٣٢]

فهذا الاختلاف وهذا التغيير وهذا التحول هو ما نسميه رسالة. وإلا، ما نقوم به قد يستمد إلهامه من المسيح ومن اللقاء معه ومن الشركة التي نعيشها معه، لكنه يظل تأكيداً لذواتنا ولعملنا، وفي النهاية نعيش تماماً مثل جميع الآخرين، نشعر بالرضا بسبب بعض الأحاديث الدينية الإضافية التي نقوم بها. فبدون هذا الوعي الذاتي الجديد، فإن أفعالنا، ببساطة، لن تكون رسالة، ولن تجعل الآخر حاضراً، استمراريته في التاريخ. وهذا الآخر، الذي هو المسيح، قد ربط استمراريته في التاريخ بعمله في العالم، من خلال الكنيسة، في ذلك اليوم السري، وهو يتحدث مع سمعان بطرس: «وَأَنَا أَقُولُ لَكَ أَيْضاً: أَنْتَ بُطْرُسُ، وَعَلَى هَذِهِ الصَّخْرَةِ أَبْنِي كَنِيسَتِي، وَأَبْوَابُ الْجَحِيمِ لَنْ تَقْوَى عَلَيْهَا».[٣٣]

إذن، عندما نتحدث عن الرسالة، فإن القضية، كما يقول الأب جوسّاني ليست في «ثورة الذات» للقيام بهذا العمل أو ذاك، بل «هي التزام حياتك بالرسالة. وهي التزامك بالرسالة. أي أن تكون حياتك رسالة. [...] إذا لم يكن لديك هذا الشعور بالرسالة، وهو نتاج حتمي ومناخ لوعي جديد بالذات، مع زوجتك أو مع أولادك، وإذا لم يكن لديك مع أصدقائك، وإذا لم يكن لديك في مجموعة أصدقائك أو زملائك في العمل، فلا يمكن أن يكون لديك تجاه المجتمع أو السياسة، أو الثقافة أو العمل. لا يمكن أن يكون لديك هذا الشعور! وفي الجانب المعاكس، يمكن أن يكون لديك هذا الشعور إذا كان لديك بالفعل في العلاقات

---

[٢٩] غلا ٢: ٢٠

[٣٠] الأب لويجي جوساني، «ثورة الذات»، كتاب سبق ذكره، ص ١٧٩

[٣١] الأب لويجي جوساني، «معنى الله والانسان الحداثي»، بور، ميلانو ٢٠١٥، ص ١٣٢

[٣٢] الكاردينال بييرباتيستا بيتسابالا، «ليس هناك حدث أكثر واقعية من اللقاء مع المسيح»، ٢٧ أغسطس ٢٠٢٤، clonline.org

[٣٣] مت ١٦: ١٨

الأساسية في حياتك، حيث يكون من الأصعب تنفيذه، ظاهرياً على الأقل».[34] علقت صديقتنا ساندرين [Sandrine] التي تعيش في بوروندي، على الخبرة التي عاشتها قائلةً: «لقد أصبحت الرسالة بُعداً من حياتي الطبيعية، ومن ذاتي. وبدأت أعيشها في بيتي». هذا التعبير رائع! فالإنسان الجديد، «الخليقة الجديدة»، يتوافق مع رسالته، فمحتوى حياته هو رسالة.

لكن ما معنى هذا "الوعي الرسولي"؟ يعني أن نرغب في عيش الحياة كما عاشها المسيح. فنحن مدعوون إلى الاتحاد والاقتداء بالمسيح، أي أن نعيش كل شيء، أينما كنا، «بالوعي بأننا مُرسلون من الآب. لماذا؟» يرد الأب جوسّاني قائلاً: «لنحمل حقيقة المسيح، وبالتالي حقيقة الشركة المسيحية».[35] فقد جاء المسيح للقائنا وتعاطف معنا وأشركنا في رسالته حتى تتميز حياتنا وتُعرَّفْ بهذا الهدف.

إذا كان كل ما نقوله صحيحاً، فإننا نفهم جيداً أن الرسالة ليست واجباً وإضافة بل هي تحقيق انتماء يعبر عن نفسه أينما يكون، وهي تحقيق لذواتنا: فنحن مخلوقون لهذا.

ومع ذلك، فإن حياتك كرسالة تحتاج دائماً إلى مجازفة وإلى مبادرة. فليس من الضروري أن يكون لديك سرعة البديهة، أي مزاج معين، لتلقي بنفسك فيها. إن الشرط الضروري هو ببساطة التذكر أو الوعي بأن ما أنت عليه وما يخلقك ويجعلك جريئاً، حتى مع كل محدوديتك، هو هذه الشركة المعاشة. وهذا يحرّرنا من ثقل بعض الصعوبات التي نواجهها أو من الانسحاق بعقلية تريد أن تقنعنا بأي ثمن بأنه لا فائدة من العيش من أجل المسيح. الشركة هي تحرير.

ولكن يجب أن ننتبه – فهذه نقطة هامة – إذ يجب أن نتجنّب خطر إضفاء الطابع الروحاني على الشركة، بحسب مفهوم غنوصي في جوهرها، وهو انزلاق ممكن دائماً حتى فينا. فالشركة ليست فكرة تكون مصدر إلهام بالنسبة لنا. فالعلاقة مع المسيح هي علاقة مع حضوره، وأن نكون مسيحيين هو أن نتبع هذا الحضور.

السؤال إذن هو: لكن من تتبع أنت ولمن تجيب على ما تعيشه ومع من تتحاور وكيف تدخل حياة الشركة بشكل ملموس في ما يخصك أكثر من غيرك وفي عملك وفي علاقاتك وفي اهتماماتك، وليس فقط في أعمال الحركة التي تشارك فيها؟ فإما أن تتجاوب مع أنت آخر ملموس ومع مكان ما ومع واقع حي، حيث يكون فيه المسيح بذاته حاضراً، وإما أن تستجيب لنفسك وكفى، برغم وجود أفضل النوايا. لذلك، حتى لو كنت تعيش وحدك أو تعمل في مكان معين، وحتى لو كنت الوحيد الذي يعيش هناك الخبرة المسيحية كما وصلت إليك، ستبحث عن مرجع لنفسك، حتى لو كان اتصالاً هاتفياً من الجانب الآخر من العالم مرة في الشهر (كما حكى لنا بعض الأصدقاء في الاجتماع الدولي للمسؤولين)،[36] مما يبقيك على اتصال بهذه الشركة. فلا وجود "للمسيح بدون الكنيسة"،[37] أي بدون جسده، جسده، كما قال الأب جوسّاني مستنكراً الاختزال العقلاني الحديث الذي يريد تجريد المسيح من إنسانيته ومن تاريخيته ومن الحقيقة الملموسة لوجوده. إن الأمر يتعلق بعيش الشركة معه.

---

[34] الأب لويجي جوساني، «ثورة الذات»، كتاب سبق ذكره، الصفحات ١٨٤ – ١٨٥

[35] نفس الكتاب المذكور عاليه، الصفحات ١٨٦ و ٢٠٧

[36] راجع «مدعوون، أي مرسلون»، مجلة «آثار» عدد ٩ / ٢٠٢٤، الصفحات ٤٠ – ٤٤

[37] الأب لويجي جوساني، «بذل الحياة من أجل عمل آخر»، بور، ميلانو ٢٠٢١، ص ١٠١

وحتى نفهم بطريقة أفضل كل هذا طلبت من صديقنا العزيز، حسام، الذي هو في تواصل معنا بالفيديو من حيفا ليحكي لنا خبرته.

إقرأ النص وشاهد الفيديو

٤- بناء الكنيسة

هناك نقطة أخيرة أود أن أطرحها عليكم. لأولئك الذين هم مثلنا قد لمسهم إعلان المسيح ووصل إليهم حدثه، لا توجد مهمة أخرى سوى هذه: التعاون لبناء الكنيسة. هذا هو السبيل الوحيد الذي يمكننا من خلاله جعل حياتنا مفيدة للعالم، والمساهمة في خير الإنسانية، وفي سعادة البشر، وفي العدالة في المجتمع. وإلا فإن ما سنفعله سيكون كذبة جديدة تضاف إلى الأكاذيب الأخرى.

عندما تحدثت صديقتنا الأوكرانية ثم صديقتنا الروسية في اجتماع المسؤولين، دون أن يكون ذلك مخططاً له، لمسنا بأيدينا، في علامة صغيرة عظيمة، كيف أن مهمة بناء الكنيسة، إذا احتضناه، يمكن أن تساهم في العدالة والسلام في العالم. فهو حدث غير متوقع وضعه الرب أمام أعيننا ليمنحنا دليلاً على أنَّه يستطيع أن يفعل ما لا نستطيع حتى أن نتخيله بمشاريعنا. إنه دليل على أن الكلمات التي وجهها الملاك إلى تلك الفتاة الصغيرة من الناصرة، في اليوم الأكثر استثنائية في التاريخ، تعلن عن وعداً حقيقياً – إنه حقيقي! -: «فما مِنْ شيءٍ غيرَ مُمكنٍ عِندَ اللهِ».[٣٨] ففي قلب تلك الفتاة البسيط والخالي من التصورات المسبقة، التي كانت تبلغ من العمر ١٥ عاماً وتُدعى مريم، أطلقت بهذا الاقرار («فما مِنْ شيءٍ غيرَ مُمكنٍ عِندَ اللهِ») ثقة بلا حدود وبلا حسابات جعلتها تقول: «فلتكن مشيئتك»، «نعم».

إن بناء الكنيسة أي بناء جماعة المؤمنين أو، بتعبير آخر للأب جوسّاني، «''عمل'' الشركة»،[٣٩] ليس مهمة بجانب المهام الأخرى، بل هو «الـ» مهمة التي تتحقق في جميع الأفعال وجميع العلاقات. إنها الأفق الذي يمكن أن يكتسب فيه كل ما نعيشه قيمته الحقيقية. فكل ما فينا، كما يقول الأب جوسّاني، هو مختصر وممجد في هذه الصيغة: بناء الكنيسة، وهو ما يتوافق مع صيغة أخرى: الحياة كرسالة. إنهما نفس الشيء.

نحن نعلم أن: شهادة المسيح في العالم تثير الدهشة، والإعجاب، والامتنان من قِبلْ الكثيرين، ولكنها أيضاً تثير المعارضة، وصولاً إلى الاضطهاد، كما كان الحال أولاً مع المسيح. إذ يقول يسوع: «فإذا اَضطَهَدوني يَضطَهِدونَكُم، وإذا سَمِعوا كلامي يَسمَعونَ كلامَكُم».[٤٠] فحدث المسيح يحكم التاريخ ويتحدى السلطة – وإلا فلماذا تكون هناك اضطهادات؟ – أي سلطة كانت، حتى السلطة التي في داخلنا، بل: هذه هي أول سلطة يتحداها المسيح. فنحن مدعوون إلى الشهادة للمسيح في عالم يقف ضده.

هناك شيء بطولي في هذه الشهادة، ويجب أن نكون مدركين لذلك. ''بطولي'' بأي معنى؟ أود أن أعود إلى مقطع مثير للإعجاب من البودكاست الجديد للأب جوسّاني: «إذا اتبعتك، يجب أن أتخلى عن ذاتي! وإذا كان عليَّ اتباعك، فعليَّ أن أتنازل عن موقفي. لذلك، يتطلب الأمر اتباعه حتى [...] إنكار ذاتي. ولكن

---

[٣٨] لو ١: ٣٧

[٣٩] الأب لويجي جوسّاني، «ثورة الذات»، كتاب سبق ذكره، ص ٦٨

[٤٠] يو ١٥: ٢٠

القضية لم تكتمل بعد، فهناك شيء أكثر: يتطلب اتباعه حتى التخلى عن الذات أمام الجميع، لأن أي شعور أو قرار ليس حقيقياً تماماً إلا إذا كان مستعداً للدفاع عن نفسه أمام الجميع».[٤١]

لا يشير الأب جوسّاني بالطبع إلى الفعل الفردي أو الكلمة الفردية، بل إلى الشعور بالذات أو القرار الشخصي بشأن ما يتم الاعتراف به وتأكيده كحقيقة. فقد شهدنا توثيقاً مؤثراً لهذا في المعرض المخصص لفرانز وفرانزيسكا ياجرشتاتر [Franz & Franziska Jägerstätter] (فرانز وفرانزيسكا، لا يوجد حب أعظم)، الذي تم عرضه في اللقاء الدولي للصداقة بين الشعوب بريميني [Il Meeting]. تم تطويب فرانز في عام ٢٠٠٧. وقد استُخدم في المعرض فيلم «الحياة الخفية» لتيرينس ماليك [Terrence Malick]، الذي يروي بلغة سينيمائية عبقرية ومؤثرة قصة فرانز وزوجته.[٤٢] الآن، واحدة من الأمور التي يركز عليها ماليك في قصة فرانز هي عدم جدوى استشهاده الظاهرة، وهي عدم جدوى تبدو وكأنها تجعل من فعلته، في نظر الأغلبية، غباءً أكثر من كونها بطولة: حيث رفض فرانز الانضمام إلى النازية والقتال من أجل هتلر بسبب إيمانه، الذي لا ينفصل عن حبه للحقيقة والعدالة (فلا يمكن فصل المسيح عن الحقيقة والخير والعدالة!)، رغم علمه بأن ذلك سيؤدي به إلى الموت. وفي لحظة معينة من الفيلم، هناك هذا الحوار الرائع الذي يدور بين فرانز وضابط من الجيش غير قادر على استيعاب قراره، فيسأل فرانز: «ما فائدة هذا العناد؟ أتظن أنه بفعلتك هذه ستغير مسار هذه الحرب؟».

إن شهادة فرانز هي شهادة إيمان واضحة وواعية ونبوية، ولكن انتبهوا: إنها ليست شهادة فردية. شخصية، نعم، لكنها ليست فردية. فرانز ليس وحيداً، بل مدعوماً بحب زوجته فرانزيسكا الواثق – وهذه هي الشركة! – شهادة لماذا؟ لليقين بأن العلاقة مع المسيح هي التي تحقق الحياة وتجعلها مفيدة حقاً، بالمساهمة في عمل الله الذي يُشكِل التاريخ وفقاً لأزمانه وطرقه التي تختلف عن أزماننا وطرقنا. ولكن هذا أيضاً هو معنى محاولاتنا وكل ما نقوم به: أن يظهر المسيح، ويُعرف، ويصبح مرئياً وظاهراً في العالم، كمعنى ورجاء الحياة.

الاستشهاد، أي الشهادة، ليس الوصول إلى حد الدم فقط، كما هو الحال مع فرانز والعديد من الآخرين. الاستشهاد هو التأكيد على هذا «الأنت» كقِوام لذواتنا في كل ما نفعله. إنها الحياة كرسالة، أينما كنا. لكن كيف يكون هذا ممكناً؟ وهنا نعود إلى نقطة البداية، نعود إلى الأصل، وهو الشركة، الحياة المسيحية كشركة. في الواقع، يمكن أن يتملكنا الخوف أو الخجل، ولكن – أقولها مجدداً – لسنا وحدنا. فالشهادة ليست بطولة عضلية. الشهادة هي انبثاق محبتي للمسيح، دون أي حسابات أو ادعاءات، مدعومة بالانتماء الذي أعيشه في جسده السري.

أود أن أختم بتكرار العبارة الجميلة لمونسنيور باولو مارتينيلي [Paolo Martinelli]، التي ذكّرنا بها حسام: «أن نكون في رسالة يعني أن شخص ما أرسلنا إلى شخص ما مع شخص ما».

---

[٤١] «الاعلان الصريح»، الحلقة ٥ من البودكاست للأب لويجي جوساني «وأنتم من تقولون إني أنا؟»، كوراميديا، الدقيقة ١٤:٤٥ وما بعدها، clonline.org

[٤٢] «الحياة الخفية»، (الحياة الخفية، الولايات المتحدة – ألمانيا ٢٠١٩)، إخراج تيرينس ماليك

قام بالترجمة من الإيطالية: لوقا أسعد ناروز

© ٢٠٢٤ حقوق النشر محفوظة لأخوية الشراكة والتحرر

صورة الغلاف: الفنان ماساتشو، «القديس بطرس يشفي المرضى بظله»، جدارية، ١٤٢٥ – ١٤٢٧، كنيسة القديسة العذراء سيدة الكرمل، فلورنسا
فوتو سكالا، فلورنسا / صندوق أبنية العبادة – وزارة الداخلية.